

الاسطوري والبناء الملحمي . انني اشارك ناظم حكمت الراي بأن نشيد الاناشيد هو اعظم كتاب حب في تاريخ الشعر ... « (٤٤) . وقد استطاع محمود درويش في مزاميره ان يتخطى الصلاة للمعشوق الى نوع من الاتحاد معه ، فصارت الارض جزءا من كيانه ، ودما يمهده بالحياة ، فيقول :

اريدك ، او لا اريدك —  
ان خربير الجدول . ان حفيف الصنوبر  
ان هدير البحار . وريش البابل محترق في دمي — ذات  
يوم اراك ، وازهب (٤٥) .

هنا تتجسد قضية الشاعر في نزوحه عن وطنه : هل كان نزوحه هروبا ؟ لا . لان الوطن لم يعد صورة منفصلة عن ذات الشاعر ، بل أصبح حقيقة داخلية تسكن دماءه ، فوصل الى اتحاد صوفي مع الوطن المعشوق . ويصبح العشق قدرا لا يقدر الشاعر على الهروب منه ؛ وهو يتمنى ان يهرب لكن قدره يلاحقه أينما ذهب . ويتجسد قدر الشاعر وحشا رهيبا يسعى الى خنقه بعد ان افترس أصدقائه ، ولا يجدي الشاعر هروب من الوطن المعشوق ، لان الحدود التي ظن انه سيبتعد عنها برحيله ، تعدو وراهه ، يقول :

هارب من الحدود التي افترست اصدقائي  
والحدود تعود ورائي  
الحدود تقترب تقترب .  
وتلامس خلقي (٤٦) .

ويصطدم الشاعر بمأساة الواقع ، حيث تصبح كل مذبة صورة لمأساة الوطن ، وتتكرر المذابح والمآسي ، فلا يعود هناك جديد يتوقع ، فيفقد الشاعر دهشته امام صور الدماء المتكررة ، وتضيع الطفولة منه ، لان الدهشة من سمات الطفولة التي ترى الأشياء عذراء . ويتجهد الشاعر حجرا بضياح دهشته ، فتصبح الطفولة الضائعة معادلة للحياة التي رحلت . ويتحول الوطن بابتعاد الشاعر عنه حلما مساويا للحقيقة في صدقه ، ان لم يكن أكثر صدقا . ولعل الشاعر هرب من فساد الواقع الى الحلم حيث تتبدى انحقائق أكثر جمالا ، وكأنه بهذا يعيد خلق الواقع في عالم ما فوق الواقع ؛ يقول :

ويا أيها الوطن المتكرر في الاغاني والمذابح  
كيف تتحول الى حلم وتسرق الدهشة  
لتتركني حجرا  
لعلك اجمل في صيرورتك حلما  
لعلك اجمل (٤٧) .

وتضيع هوية الشاعر باغترابه عن وطنه ، فيحاول ان يجسد شكلا صورة مرسومة في لاوعيه للوطن ، وكأنه بهذا يجد الانتماء الذي يحدد شخصيته . ولكن الشاعر يعيش صراعا مع القدر ، فتخطف قوة لا يعيها يده ، ويقف ضائعا لا يعرف هويته ولا مبدءا انتمائيه ، يقول :

اريد ان ارسم شكلك  
فتخطف السماء يدي  
اريد ان ارسم شكلك  
ايها المحاصر بين الريح والخنجر  
اريد ان ارسم شكلك  
كي اجد شكلتي فيك (٤٨) .